

Beauty In Islamic Thought

Ayad Abdul Kadhim Tarash¹

Roziah Sidik²

1-43600, University Kebangsaan Malaysia (UKM), Institute Of Islam Hadhari,
Malaysia, Selangor, Bangi

2-43600, University Kebangsaan Malaysia (UKM), Faculty of Islamic
Studies, Malaysia, Selangor, Bangi
ayad_tareh@yahoo.com

Submission date: 19/9/2018	Acceptance date: 3/10/2018	Publication date: 11/2 /2019
----------------------------	----------------------------	------------------------------

Abstract

The researcher discussed the concept of beauty and defined it as a technical and humanitarian experience, and presented this concept to some philosophers of Greece and then addressed beauty in the Islamic intellectual perspective and what came in the Holy Quran of terms such as beauty, beauty and adornment, and then the researcher took beauty in the Sunnah and Scholars and thinkers of Islam. The researcher concluded that the Islamic perspective of beauty is broad and inclusive to include the real aesthetic beauty and intuition of both the metaphysical and spiritual intuition that elevates man towards absolute divine beauty.

Keywords: beauty, Islamic, Painting

الجمال في الفكر الإسلامي

أياد عبد الكاظم طارش^١ روزيه صديق^٢

١ - الجامعة الوطنية الماليزية/ معهد الاسلام الحضاري

٢ - الجامعة الوطنية الماليزية/ معهد الدراسات الاسلامية

الخلاصة

ناقش الباحث مفهوم الجمال وعرفه كتجربة فنية وإنسانية، واستعرض هذا المفهوم عند بعض فلاسفة اليونان ثم تناول الجمال في المنظور الفكري الإسلامي وما جاء في القرآن الكريم من تعابير دالة عليه مثل الجمال والحسن والزينة، ثم تناول الباحث الجمال في السنة وعند ثلة من العلماء والمفكرين المسلمين وخلص الباحث إلى أن المنظور الإسلامي للجمال واسع وجامع يشمل الجمال الواقعي الذي نتوقه بالحس والجمال الميتافيزيقي والروحي الذي نتوقه بالحدس والذي يسمو بنا للتقرب من الجمال الإلهي المطلق.

الكلمات الدالة: الجمال، الاسلام، التصوير.

١ - المقدمة

علم الجمال، مصطلح يستعمل في الفكر المعاصر للدلالة على التخصص العلمي الإنساني الذي يهتم بدراسة الجمال بعده مفهوم في الوجود، وبوصفه تجربة فنية في الحياة الإنسانية، فالجمالية إذن علم يبحث في معنى الجمال من حيث المفهوم والماهية والمعايير والمقاصد [١، ص ٤٧٣] فما علم الجمال الا تحليل وفهم المشكلات التي تثيرها الأعمال الفنية والتي يخلقها الإنجاز الفني والتأمل العاطفي.

٢. مشكلة البحث:

تختلف النظرة الإنسانية لمفهوم الجمال وفق تغير زاوية الرؤية كونه يمثل موقفا ذوقيا تجاه الكون بكل محمولاته المادية والروحية ووفقا لما تتركه في عقله وروحه من انطباعات واحاسيس متفاوتة من انتشاء او فرح او دهشة او ما يقابلها من حزن او ارتباك وغيرها من المشاعر او المواقف، وهذا بمجمله يسجل استجابة جمالية وعاطفية تجاه الأشياء في نوع من التلقي الجمالي يؤثر في ذائقة الفرد والمجتمع، وكان للفكر الإسلامي الذي جات به الرسالة المحمدية والتي نص عليها القرآن الكريم وسنة الرسول الأعظم وما تبعهما من اجتهادات فقهية وفكرية وفلسفية قد اطرت هذا المفهوم وسعت لبناء اسسه وبما يشكل فهما اسلاميا خاصا للجمال والجميل حيث يبدأ أساس الرؤية الإسلامية لهما انطلاقا من الحديث الشريف: "الله جميل ويحب الجمال" [٢، ص ٢٤١] والجمال هنا نوعين الجمال الشكلي والجمال الروحي. فالفنان المسلم يستخدم معيارا حدسيا يقيّم فنه وأشكاله الجمالية مبتعدا بذائقة واختياراته عن مقاييس الأشكال الواقعية التشبيهية ومحدداتها. ومن هنا نشأت مشكلة بحثنا هذا حيث يحاول البحث تحديد وكشف الموقف الجمالي الإسلامي ماديا وروحيا مستندا الى ما جاء به الفكر الإسلامي من رؤيا جمالية تستند الى القرآن الكريم وسنة النبي (ص).

٣. هدف البحث:

وقد حدد الباحث هدف البحث هو كشف مفهوم الجمال في الفكر الاسلامي.

٤. أهمية البحث والحاجة اليه:

تأتي أهمية بحثنا هذا كون دراسة المفهوم الجمالي الإسلامي يشكل المدخل الحقيقي لفهم الفن الإسلامي بعده يشكل الأرضية التي يقوم عليها باعتبار أن الفكر التوحيدي الإسلامي قد أطر الصياغات المفهومية للجمالية الإسلامية وبالتالي يكون هو المحرك الحقيقي للفعل الفني الأدائي وهو الذي مهد وأسس لكل المنجزات الفنية الإسلامية المتحققة لذا تستوجب تكثيف الدراسات الجمالية المتخصصة والمتعمقة في هذا المضمار المهم. وهنا تكمن حاجتنا للبحث كونه يحاول سد الفراغ البحثي في هذا المجال والذي تعاني منه مكتبتنا الفنية. وقد استخدم الباحث المناهج البحثية احسب الحاجة لها كالمنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي كل على انفراد او استخدام اكثر من منهج في الوقت ذاته وحسب حاجة البحث.

٥. الجمالية الإسلامية:

ارتبط مفهوم الجمال عند المسلمين بالتوحيد فالأساس الفكري الأول والنجاح المعرفي الأهم هو إدراك وتبني العلاقة العميقة ما بين الجمال والتوحيد، فالتوحيد هو مبدأ الجمال ولذا فهو الهاجس والمحرك الأساسي لكل الفنانين المؤمنين برؤية كلية توحد غاياتهم الجمالية وأهدافهم وطرق تفكيرهم و"بما يرتبط بالفكر الإسلامي وفلسفته ومثاليته". [٣، ص ٣]

لقد رسخت الجمالية الإسلامية التي تجلت عن الفكر القرآني التماسك والتكامل والانسجام بين قيم الجمال وبين قيم الحق والخير والإيمان وبما يصوغه عمق الإيمان في روح المسلم والذي يرفع به من

مستوى الإنسان ليرى آيات الجمال في آفاق الطبيعة من أرض وسماء وخلائق ويتذوقها ويتحسس جمالها وذلك لا يتم إلا إذا نظر الى الكون على أنه آية من آيات الجمال الإلهي. [٣، ص ٩] فصفات الجمال الربانية تتعكس على ما أبدعه من المخلوقات وأولها كتاب الله العزيز وهو القرآن الكريم الذي يدعو الى استلهاهم قيم الجمال وإدراكها وهو نفسه آية من آيات هذا الجمال بكل ما يحمله من بديع الصنع وإتقانه، وذا ما وصفه الوليد بن المغيرة حينما سأل عن القرآن فقال: "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر"، ومن فصاحة القرآن وضوح بيان معانيه، مع اقتصاد مبانيه، مع إيجازه، وذلك بإيفاء واكتفاء وإيماء، غير مغل ولا ممل، ومن بلاغته في عجائب التراكيب، وغرائب الأساليب، وبدائع العبارات، وروائع الإشارات، المتجاوزة لعادة العرب من فصاحتهم وبلاغتهم. [سورة فصلت، الآية ٤٢].

٦. مفهوم الجمال في المنظور الإسلامي:

٦. ١. الجمال في القرآن الكريم:

شكل القرآن الكريم الدستور الديني المنظم لحياة المسلمين وعباداتهم وعلاقاتهم مع بعض ومع غيرهم ومع مجمل الحياة والأكوان المحيطة بهم راسماً لهم السبل التي يهتدون بها لإصلاح أنفسهم وأبدانهم والانتفاع بكل ما هو إيجابي فيها ومحبباً لهم كل ما هو خير وحسن ونافع لهم، مؤكداً على قيم الحق والخير والجمال، والمتأمل في آيات القرآن الكريم يرى بالتأكيد إن نموذج الجمال الإلهي يتجلى في الإبداع القرآني الذي وضعه الخالق جل جلاله وزينه بأحسن آياته وأحكمها وما وضعه الله في محكم كتابه وضعاً فنياً غاية في الروعة والجمال، جامعاً بين ضروب القول المختلفة مناغماً بينها في تراكيب فنية معجزة لا يملك من يتأملها أو الباحث في أسرارها إلا السجود للخالق إجلالاً وخشوعاً، يقول سبحانه وتعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يظلل الله ما له من هاد). [سورة الزمر، الآية ٢٣] فالقرآن الكريم يشكل في تصويره الفني نزوة الجمال ومنتهاه وهو صورة مكتملة للجمال الجوانب بانسجام موسيقا هو انسياب أنغامه ورقة تعابيره وعذوبتها، فعلموه قد فتحت أمام المسلمين آفاقاً معرفية لا نهاية لها، يقول تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) [سورة محمد، الآية ٢٤]. لقد ورد ذكر الجمال ومفردات أخرى تبدو مرادفة له، في مواضع شتى من القرآن الكريم. وأن الألفاظ الخاصة بالجمال التي يرد ذكرها فيه هي: الجمال، والزينة، والحسن، ولكل منها مجال مخصوص على نحو ما سنتطرق اليه، ولكن من المفيد الالتفات إلى جانب آخر من جوانب اختلاف الإسلام مع المناهج الوضعية وهذا المعلم هو تنوع المصطلح في القرآن بحسب الزاوية التي يتم التعامل من خلالها مع الجمال بينما المصطلح الذي تستعمله المناهج الوضعية مصطلح واحد وهو الجمال أي ما كانت زاوية النظر، ولهذا فإن استعمال مصطلح واحد للتعبير عن مواقف متباينة من الجمال يغدو استعمالاً قاصراً في إدائه من جهة ومضللاً وغير مستوفياً للدلالات التي من المفترض به التعبير عنها، وبناءً على ذلك فإن الألفاظ التي يرد استعمالها في القرآن الكريم للتعبير عن الجمال هي بشكل رئيسي ثلاث مرادفات.

٦. ٢. الجمال:

لقد عني القرآن بجمال الكون والطبيعة فجاءت سور من القرآن بأسمائها منها النجم، القمر، الشمس، الفجر، التين، البقرة والنحل، كذلك اتخذ من أسماء الجمال ذاته إسماً لأحدى سوره وهي الزخرف والذي يحمل معنى الجمال والاكتمال ومعنى الحسن، وقد وردت كلمة الجمال في القرآن الكريم في ثمانية مواضع وفي معاني ومدلولات مختلفة:

قال سبحانه وتعالى على لسان نبيه يعقوب: (وجاءوا على قميصه بدم كذب وقال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) [سورة يوسف، الآية ١٨]. وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر في السورة ذاتها: (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو الحكيم العليم) [سورة يوسف، الآية ٨٣]. فهنا في هاتين الآيتين الكريمتين اقترن الجمال بالصبر بشكل مباشر حيث الجمال متمثلا بالصبر الجميل وهو الصبر من دون قلق، وهذه الفضيلة تم ذكرها في القرآن أكثر من (٩٠) مرة وهي من سمات الأنبياء يقول سبحانه وتعالى: (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إناهم من الصالحين) [سورة الأنبياء، الآيتين ٨٥-٨٦]. والصبر الجميل هو صبر بلا شكوى، قال يعقوب عليه السلام (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [سورة يوسف، الآية ٨٦]. وأجمل الصبر، الصبر الجميل الذي لا جزع فيه وروي عن النبي (ص) قوله حين سأل عن الصبر الجميل قوله: (صبر لا شكوى فيه) [٤]، ص ٤٧٢]. وفي سورة المعارج يقول الله تعالى: (فأصبر صبرا جميلا) [سورة المعارج، الآية ٥]. فكلمة جميل التي جاءت هنا تحمل نفس المعنى والدلالة التي جاءت في سورة يوسف غير أن الاختلاف هنا هو في صيغة الأمر التي خاطب الله بها رسوله ويحثه فيها على الصبر الجميل. أما في سورة المزمل فيقول الله عز وجل: (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) [سورة المزمل، الآية ١٠]. وهنا في سورة المزمل يأمر الله رسوله (ص) بالصبر على ما يقوله السفهاء من أبناء قومه وأن يهجرهم هجرا جميلا والهجر الجميل هو الحسن في نوعه وهو ما يقتصر على حقيقة الهجر، وهو ترك المخالطة دون جفاء أو أذى فأمر الله رسوله بهجر المشركين دون أن يزيد على هجرهم سباً وانتقاما [٥، ص ٢٥٦].

ويقول سبحانه وتعالى في سورة الحج: (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فأصفر الصبح الجميل) [سورة الحجر، الآية ٨٥]. وفي هذه الآية الكريمة يقترن الجمال بالصفح والعفو وفي جماله وجلاله، والصفح الجميل الذي لا أذية فيه بل هو ما يقابل الإساءة بالإحسان وهو الصبح الحسن الذي سلم من الحقد وهو أبلغ من العفو وهو الصبح الخارج من فتوة نفسية ورباطة جأش وهو صبح جميل من أن أثره الجليل الجميل لا يطاول [٦، ص ١٢٨]. ويقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا) [سورة الأحزاب، الآية ٢٨]. كما يقول عز وجل في آية أخرى من نفس السورة: (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعهن وسرحوهن سراحا جميلا) [سورة الأحزاب، الآية ٤٩]. والسراح الجميل يكون بالتعامل اللطيف وحسن القول مع المطلقة وترك أذاها وعدم حرمانها من كل ما وجب لها من حقوق والإحسان إليها إرضاء لها وتخفيفاً من شدة وقع الطلاق عليها، وفي هذه الآية الكريمة استخدم الخالق العزيز مصطلح التسريح كناية عن الانسيابية والهدوء والرفق وهي من شيم الخلق الكريم وهو ما يشكل وجهاً آخر ناصعا من أوجه الجمال في الفكر القرآني حيث ترتبط قيم الحق والخير بقيمة الجمال.

أما في سورة النحل فيقول جل جلاله: (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) [سورة النحل، الآيتين ٥-٦]. وهنا ذكرت الآيات الفوائد المادية للأنعام من أكل ودفء ومنافع أخرى وقد أتى الجمال مستقلاً قائماً بذاته وهو ما يدل على أن الجمال أصل في الكون بقدر ما هو مرتبط في التصور الإسلامي بالمنفعة، فلا يكاد ينفصل النافع عن الجميل في هذا التصور.

٦. ٣. الزينة:

والكلمة الأخرى التي وردت في النص القرآني كتعبير مرادف لكلمة (الجمال) هي الزينة والتي جاءت في مواضع متعددة في الآيات القرآنية: قال سبحانه وتعالى في وصف صورة الكون: (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين) [سورة الحجر، الآية ١٦]. وقال سبحانه وتعالى: (إنا زينا السماء بزينة الكواكب) [سورة الصافات، الآية ١٦]. وقال سبحانه وتعالى في موضع آخر: (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) [سورة الكهف، الآية ٧].

وقال الخالق العظيم في وصف جمال الأرض وما انعم الله عليها من معالم الجمال: (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا) [سورة يس، الآية ٣٣]. وقال سبحانه وتعالى عن المنافع التي يجنيها الإنسان مما هيأها له الخالق: (الخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة) [سورة النحل، الآية ٨].

وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى مذكراً للإنسان بجمال وغنى ما سخره له وداعياً إياه إلى التمتع في مباحج الحياة والتمتع في جمالها: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) [سورة ق، الآيتين ٦-٧]. فالزينة هنا تعبير مرادف للجمال ومعبر عن فحواه، وهي زينة كونية أبدعها الله في كل المخلوقات في السماء وكواكبها والأرض وجنائنها وخيراتها والتي سخر جزء منها لخدمة الإنسان ومعيشته ومباهجه.

وفي موارد أخرى يأتي لفظ الزينة بعده عنصراً جمالياً غير ممتزج بكيونة الشيء أو غير متأصل فيه، فما يرتديه الإنسان من ملابس أو حلية محض زينة عابرة زائلة، ولهذا فإن معظم الآيات المشتملة على هذه اللفظة تنصرف إلى هذا المعنى كقوله سبحانه: (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى) [سورة طه، الآية ٥٩]. (ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم) [سورة طه، الآية ٨٧]. وقال عز وجل: (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم) [سورة الحديد، الآية ٢٠]. وقال سبحانه وتعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) [سورة الأعراف، الآية ٣١]. وقال سبحانه وتعالى: (فخرج على قومه في زينته) [سورة القصص، الآية ٧٩].

وبالتمعن في الآية يتبين لنا أنها لا تدل على ذلك الأثر ذلك أن الكلمة وردت هنا غير مخصصة، وهي تختلف في المعنى عن الجمال التي وردت في قوله تعالى: (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون)، وهي الآية التي أوردناها من قبل، فـ "جمال" هنا مخصصة بالمخاطبين لكم فيها تلميحاً إلى تأثير الأنعام فيهم، بينما وردت زينة مطلقة لتشير إلى كونها ملكاً زائلاً. ولأن هذا هو موقف المنهج الإسلامي من آيات الجمال والزينة المثبوتة في الكون من صفات الحسن والبهاء المتاحة للإنسان في هذه الحياة، كانت دعوة القرآن الكريم الناس إلى اتخاذ الزينة عند كل مسجد، أي إلى الربط بين التزين وبين دعاء الله والمثول بين يديه، فكلاهما التزيين والصلاة شكر لله سبحانه وتعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)* قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) [سورة الأعراف، الآيتين ٣١-٣٢]. والشمولية والبعد الإنساني الكوني بائن للعيان في هذه الآيات الكريمة فنلاحظ أن هذه الآيات تدعو الإنسان وليس المسلمين وحدهم، فهو إشارة على أن هذا هو مقتضى الفطرة التي فطر الله الناس جميعاً عليها، طلب الزينة والجمال، وتصحيحاً للانحراف الذي جعل العبادة رهبانية تدبر الظهر لصفات الحسن ومظاهر الجمال في هذه الحياة، إنه المنهج الإسلامي الذي يعيد الإنسان في هذا الجانب الجمالي وغيره إلى

فطرته والتي يمثل التجل والترز من صفاتها بل هي مطلباً إلهياً يتوجب على المسلم الالتزام به والسعي إليه[٧].

٦. ٤. الحُسن:

كلمة الحسن بمشتقاتها وردت في القرآن حوالي (١٦٥) مرة وغطت في معانيها المظهر الشكلية الظاهرية لتغطي جوانب الأخلاق والوعظ التي هي من صفات الخالق قال تعالى: (تبارك الله أحسن الخالقين) [سورة المؤمنون، الآية ١٤]. وهي هنا بمعنى القدرة في مجال الخلق، فالحسن أحسن الخالقين. كما ربط القرآن كلمة الحسن بالجمال الإنساني قال تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) [سورة التين، الآية ٤]. والدلالة الجوهرية لهذه اللفظة تتدرج في مواضع أخرى في كون الجمال جزءاً من تكوين الشيء وحقيقته، وهذا يعني أنه لا يستعمل للدلالة على وقع ذلك الشيء في النفس بل للتعبير عن حقيقته، من ذلك مثلاً قوله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب: (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن) [سورة الأحزاب، الآية ٥٢].

وقول النبي عليه الصلاة والسلام في تحذيره للمؤمنين من خضراء الدمن التي بين أن المراد بها هو: المرأة الحسناء في المنبت السوء فالحسن صفة جمالية حقيقية في المرأة، هي تلك الصفة التي يتفق عليها الناس وهي جمال مادي ملموس ومخلوق وليس معنوي فيها، وهو في نفس الوقت ليس معنوي في الرائي بمعنى أن المرأة تبدو له جميلة مع أنها ليست في واقع الأمر كذلك، ولئن كان هذا المعنى مقصوداً لكان يقال مثلاً ولو أعجبك جمالهن أو المرأة الجميلة في المنبت السوء. الحسن إذن صفة جمالية فعلية في الشيء ذاته بغض النظر عن أثره في الآخر أو عدم أثره، وهو يختلف عن الجمال من حيث أنه حقيقة بينما الجمال شعور[٨]. وهكذا فإن ألفاظ الحسن في الآيات الكريمة تدل على الجمال الفعلي الملموس في الأشياء، من ذلك مثلاً قوله تعالى: (والله عنده حسن المثاب) [سورة آل عمران، الآية ١٤]. وقال تعالى: (وإن له عندنا لزلفى وحسن مثاب) [سورة ص، الآية ٤٠]. وقال تعالى في موضع آخر من القرآن الكريم: (وبيشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً) [سورة الكهف، الآية ٢]. وقال عز من قائل: (قال معاذ الله إنه أحسن مثواي) [سورة أيوسف، الآية ٢٣]. وهي جميعاً دالة على معنى الحسن، فحسن المثاب يعني أن المثاب جميل في حقيقته وليس تصوراً إنسانياً أو شعوراً مجرداً يمثل إحساس الفرد يوم لقاء ربه في يوم القيامة ولهذا فإن الخالق القدير عندما يشير إلى عباده بقوله: (وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة) [سورة البقرة، الآية ٨٣]. يصدر أمراً ربانياً بالالتزام القول الجميل الحقيقي باطناً وظاهراً لا أن يكون كلاماً مرئياً ذا وجهين باطن سيء، وظاهر جميل معسول، فهو يدعو عباده إلى صدق المقال وتجنب النفاق.

إن الجمال لفظ يعكس تأثير الشيء المرئي في النفس، والحسن لفظ يعكس الجمال الذي يوجد حقيقة في ذلك الشيء والذي يتفق عليه الرائيون بدرجات متفاوتة وأن من أهم صفات الحسن امتزاجه بكيونة الشيء وملازمته له، وبعبارة موجزة فإن الجمال كلمة تدل على شعور عارض والحسن لفظة تنبئ عن جمال مادي حقيقي دائم، على أن هناك جمالا ظاهرياً زائلاً مرتبطاً بالملبس وأدوات الزينة أو لون الشعر وطريقة تصفيفه أو ما شابه ذلك مما هو قابل للإزالة فهو عرضي وسريع الزوال، والدلالة على هذا النوع من الجمال الظاهري المضاف استعمل القرآن الكريم لفظ الزينة [٣، ص ٩].

وبناء على هذا بوسعنا فهم التأصر وجمال التناسق والتكامل بين الفاظ الجمال وما تحمله على اختلافها من قيم الحق والخير، وإن الإيمان الذي يصوغه القرآن الكريم في النفوس إنما يصوغه ليرفع به من مستوى الإنسان ليتحسس كل ما في أفق الأرض والسماء من آيات الجمال، يدعم إيمانه من خلال بناء وتوسيع نظرتة

الشاملة الى الكون بعده تجلياً لجمال الإلهي. ويمكن تقسيم الجمال الى نوعين تدرج في إطارهما كل أنواع تذوقه والإحساس به وبما يعتمد على فهم المتذوق وإدراكه وثقافته وبيئته وخلفيته الحضارية واستعداده النفسي:

-الجمال الحسي: وهو يبعث في النفس الإنسانية النشوة، ويتضمن أنواع متعددة، منها ما نراه في الطبيعة كالأشكال والأصوات والألوان، بما يمثله جمال السماء والكواكب والأرض بكل ما فيها من جنائن وحدائق وسهول وجبال وأنعام مختلفة وما فيها من طيور ذات أصوات جميلة فضلاً عن سائر المخلوقات التي تتصف كل منها بناحية ما من الجمال.

-الجمال النفسي: وأولها صفاء النفس واستمتاعها بالتأمل الهادئ وبصفاء النفس تصير لها القدرة على الاستمتاع بالجمال فهما معا يمثلان الحركة الحية في الحياة[٣، ص ٢٣].

ومن ألوان الجمال النفسي في الرؤية الإسلامية الصبر الجميل الذي فيه يقين المسلم المؤمن من أن كل ما يأتي من الله هو خير وإن كان لا يعلم وجه الخير فيه كما حدث لسيدنا يعقوب عليه السلام حين عاد أبنائه بدون يوسف، مدعين إنه قد أكله الذئب فلم يصدقهم ولكنه قال: (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) [سورة يوسف، الآية ١٨].

٥. ٦. الجمال في السنة النبوية:

تعد السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم وتليه من حيث الأهمية في منظومة المرجعيات الشرعية الإسلامية، وهي تعني كل ما صدر عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير[٩، ص ١٣]. وتعد السنة صنواً للقرآن ومنزلة من عند الله تنزيلاً معنوياً ويؤكد ذلك قول الله سبحانه وتعالى في حق نبيه عليه الصلاة والسلام: (وما ينطق عن الهوى، إن هو الا وحي يوحى) [سورة النجم، الآيتين ٣-٤]. والآية تشهد بوضوح في أن كلام النبي محمد (ص) وحديثه فيما يبلغ عن الحق من التشريع ليس حديثاً من عندياته ينطق به عليه الصلاة والسلام ولكنه كلام الله الذي يوحى به اليه وبهذا يكون أمره من أمر الله ونهيه من نهى الله سبحانه وتعالى.

فقول النبي يوافق القرآن الكريم وهو ينهل من معينه في كل ما يفعل أو يقر وبالتالي فإن أفكار النبي وأقواله وأفعاله تتوافق مع فكر القرآن الكريم فيما يخص الجمال وقد روى (مسلم) في صحيحة عن عبد الله بن مسعود عن النبي (ص) قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس"[١٠، ص ٩٣]. وفي الحديث حث على التخلق والتخلي بالجمال بكل ما يحمله من حسن وبهاء وجمال في الشكل والمعنى.

روى أبو داود في سننه، عن جابر بن عبد الله قال: أتاننا رسول الله (ص) فرأى رجلاً شعثاً، قد تفرق شعره، فقال: "أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره، ورأى رجلاً آخرًا وعليه ثياب وسخة، فقال: أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه"[١١، ٦١٦]. وفي هذا الحديث الشريف يدعو النبي (ص) المسلمين الى الالتزام بالنظافة في المأكل والملبس، واستحباب تنظيف الشعر والعناية بالهنادم وهي من سمات التجميل فالعناية بمظهر المسلم ونظافته وتحسين صورته أمام الناس وأمام ربه هو أوضح معاني الجمال.

قال النبي محمد (ص): "تنظفوا فإن الإسلام نظيف" وفي هذا الحديث بعد تربوي وجمالي ويراد به الطهارة وهي هنا نظافة الشكل وهي تستهدف نظافة الضمير ونظافة المجتمع أيضاً وكذلك تستهدف الطهارة

المعنوية المتمثلة في الابتعاد عن الفواحش والمعاصي والذنوب والآثام وفيه ترتفع نفس المسلم المهيذبة عن رجس الفوضى وأحوال التوحش الى سمو الأخلاق ورفعتها وبما يشمل النفس والعقل والجسم [١٢، ص ١٩٣]. ومن ثمرات التزام المسلم بالنظافة استقامة الإيمان عنده، واتصافه بالخصال الحميدة لما فيها من خير للفرد والمجتمع، فنظافة الفرد مدعاة لنظافة المجتمع، كون النظافة عماد عنصر الجمال في كل جميل. أما الإنسان، فقد فطره الله تعالى على نظافة وطهارة كل ما يتعلق به باطناً وظاهراً، قال تعالى: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) [سورة التوبة، الآية ١٠٨].

وجسد الرسول صلى الله عليه وسلم سنن الفطرة، فاهتم بالنظافة أيما اهتمام، يقول ابن الجوزي: "كان النبي أنظف الناس"، وجاءت طائفة من الأحاديث الشريفة، تُبين مدى أهمية النظافة في حياة المسلم وآخرته، فكان صلى الله عليه وسلم هو النموذج وهو الأسوة الحسنة في ذلك، وكان النبي يعلم أصحابه وكانوا قادمين من سفر: "إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رجالكم، وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس.."، وقد روي "عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه عند الباب، فخرج يريدونهم، وفي الدار ركوة فيها ماء، فجعل ينظر في الماء ويسوي لحيته وشعره، قالت عائشة: فقلت له: يا رسول الله وأنت تفعل هذا؟ قال: نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه، فليهيئ من نفسه، فإن الله جميل يحب الجمال"، وهذا تقرير منه صلى الله عليه وسلم بأن تجميل الإنسان في الهيئة والمظهر واللباس والحذاء وكل ما يرتفق به دون إسراف ولا خيلاء، محمود، مطلوب في الإسلام، بل هذا من الجمال الذي يحبه الله.

وجاء في صحيح البخاري عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله: "الفطرة خمس الختان والاستحداد، ونتف الإبط، وقص الشارب، وتقليم الأظفار" [١٣، ١٠٩٦]. وفي هذا الحديث دعوة الى الجمال، وذلك من خلال الالتزام بالفطرة وسننها، فلقد كرم الله الإنسان وجمله، وجعله في أعلى المراتب وجعل بينه وبين سائر المخلوقات فوارق كثيرة وبالالتزام بالفطرة التي أقر سننها الإسلام مثل تحسين الهيئة وتنظيف البدن والاحتياط للطهارتين وغيرها من أحكام التشريع والتي في التزامها مصالح دينية ودنيوية كثيرة يكون الإنسان أقرب الى نموذج الجمال الذي ينشده الفكر الإسلامي ويدعوا النبي الكريم اليه وكان نموذجاً صادقاً له [١٤، ص ٧].

٦. ٦. الجمال عند العلماء والمفكرين المسلمين:

إن محاولة دراسة الظاهرة الجمالية ومفاهيم الجمال عند العلماء والمفكرين المسلمين هي محاولة واقعية لفهم أصول الفن الإسلامي وإبداعاته، بغية تحقيق فهم فلسفي جمالي إسلامي بعيداً عن نظريات الجمال الغربية ولا بد من الإشارة الى أن الجمال لم يأخذ وجوده كموضوع مستقل عند الفلاسفة والمفكرين المسلمين، بل يأتي وجوده كنتائج عرضي غالباً وضمن مواضيع معرفية قد تقترب من موضوعات الجمال دون أن تختص به كبحت مستقل وفق قصدية واضحة، ومع ذلك يبقى هذا التناول الضمني مهماً لفهم آليات اشتغال مفهوم الجمال ومشتقاته وما تفرع عنه من تنظيرات، والتي شكلت القاعدة أو الإطار المعرفي الذي سار الفن الإسلامي بهديه أو في حدود معانيه وقوانينه وخصوصاً التصوير الإسلامي محل بحثنا هذا.

أن الجمال عند أغلب مفكري الإسلام يقع على الصور والمعاني، وهم يرون أن إدراكه هو إدراك نسبي بين الناس من جهة، وهو مشروط بصحة الحواس ودقة حكمها وحسن تمييزها ودقة الفهم وعمق إدراكه، معتبرين أن الجمال هو بهاء التناسب وجودته في الشكل والمضمون، وبما غدا يمثّل نظريةً جماليةً نقديةً لدى أجدادنا لتمييز الغث من السمين [١٥، ١٣٦].

اشترط (ابن طباطبا ٣٢٢ هـ - ٩٣٤ م) صحة الحواس لفهم الجمال، حين جعل الحواس أداة التدقيق الجمالي لمعرفة الشكل ثم اتبعه بالحديث عن المعنى، فهو يرى إن العلة في قبول الفهم الناقد للفن الحسن الذي يرد عليه ونفيه للقبیح منه، واهتزاز له لما يقبله وتكرّره لما ينفیه أن لك حاسة من حواس البدن، إنما تتقبل ما يتصل بها، مما طبعت له إذا كان ورودها عليها وروداً لطيفاً باعتدال لا جور فيه وبموافقة لا مضادة معها فالعين تألف المنظر الحسن وتقضى بالمنظر القبيح الكريه، والأنف يقبل المشم الطيب، ويتأذى بالنتن الخبيث، والفم يلتذ بالمذاق الحلو ويمج البشع المر، والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه فهنا تأكيد على الماورائي من الجمال والكامن المخبوء وعلى المضمون الحسن المضمّر الذي تتحسسه الروح ولا تكفي العين وحدها لأدراكه [١٦، ص ٣٠]. فإدراك الجمال في أي موضوع كان يستدعي من المتلقي حواساً مرهفةً وحسناً دقيقاً وفهماً شمولياً، لتصبح القيمة الحقيقية للجمال هو الجمال ذاته، ولكن الجمال ليس أحادي الاتجاه، وللشكل دون شك سحره وجاذبيته التي تشد القلوب باعتبار ما يتسم به من صفات جمالية كالتناسق والتناسب والتوازن والانسجام وغيرها من الصفات الظاهرية المتعلقة بالشكل، ولكل شكل مضمون ولكل مضمون وظيفة وهدف، وإن كان الشكل في ذاته يحمل وظيفة جمالية وهدفاً جمالياً. فالشكل الجميل يرتقي بالنفس إلى رحاب الصفاء والنقاء في يعطي مساحة من التلذذ، ولكنه لا يؤسس إلا اللذة المؤقتة التي تزول مع زوال الدهشة ومع امتداد الزمن واقتتران ذلك بالألفة والملل في أحيان كثيرة، أما إذا كان الجمال في الشكل والمضمون فإنه يخلق بالنفس في حقول اللذة والمتعة والفائدة معاً، وهذا الاقتتران يستوجب قدرات ذاتية حسية وحسية وعقلية ومعرفية عميقة، فالجمال الحقيقي هو الذي يشمل الشكل والمضمون معاً وكل يقوم بوظيفته الخاصة به فالجمال الطبيعي يُدرك عادة بالحواس وحدها ويرتقي بذوق المتلقي ويزيد من رهافة حسّه ويعمق قوة حدسه، بيد أن هذه الحواس إنما هي منافذ العقل المدرك للجمال المحسوس في أي موضوع من موضوعاته الإبداعية أو الطبيعية في الإنسان والظواهر والأشياء والكون، فإدراك الجمال المحسوس يحتاج إلى التجربة والثقافة والعقل في الوقت الذي يرتبط بالحواس الواعية المتألمة وفقاً لقوله تعالى: (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) [سورة الحج، الآية ٤٦]. وقوله تعالى: (لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) [سورة الحاقة، الآية ١٢]. وقوله تعالى: (فستبصر ويبصرون) [سورة القلم، الآية ٥]. ولذا تصبح القيم الخلقية والدينية أحد أجزاء علم الجمال وإن لم تدخل في معايير الحكم على جمالية الموضوع غير إن الفكر الإسلامي يميل بطبيعته إلى الجانب الأخلاقي وهذا أمر واضح في فلسفته الروحية المرتبطة التي تهل من القرآن الكريم وترتكز إليه وسيحاول الباحث هنا استعراض الرؤية الجمالية لمجموعة من علماء وفلاسفة الإسلام حول مفهوم الجمال:

حاول (ابن رشد ١١٢٦-١١٩٨ م) الربط بين القيم الجمالية والقيم الأخلاقية من خلال قيام علم الجمال بوظيفة أخلاقية وتقويمية إضافة لوظيفته في بث المتعة والاستئناس في النفوس المتذوقة للفن والجمال والمتحسنة للطبيعة والمدركة لأسراره المستمكن فيها وهو يرى إن المحاكاة تنفع كوسيلة تعليمية بغرض تقويم الناس والارتقاء بهم إلى مستوى أعلى من رؤية الحياة والتألف معها وهو يرى أن غاية الجمال هو في ارتباطه بأفعال الناس وانفعالاتهم فيقوم سلوكهم ويدفعهم إلى الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة [١٧، ص ١٠٦]. ويرى (الغزالي ١٨٠٥-١١١١ م) إن الجمال هو حسن كل شيء في كماله اللائق به، الممكن له، فإذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله الحسن والجمال بقدر ما حضر [١٧، ص ٢٩٣].

يربط الغزالي القلب والعين، مثلما يربط بين البصر والبصيرة، إلا إنه يميل نحو القلب فيجعل مجال القلب- البصيرة أكبر من مجال معطيات الحواس في عملية إدراك الجمال فيقول: " فالقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصورة الظاهرة للإبصار، فتكون لا محالة لذة للقلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجعل إن تركها، الحواس أتم وأبلغ" [١٨، ص ٢٦٨].

والجمال عند (التوحيدي ٩٢٣-١٠٢٣م) هو الموسيقى والخط ذلك أن جمال أي شيء من الأشياء مرتبط بنفس المتذوق، ويتفق ابن مسكويه مع التوحيدي بوجود حوار بين النفس والطبيعة وهذا الحوار المستمر يتم من خلال تلقي الطبيعة لأفعال النفس وآثارها ولذلك فأنها عندما تشكل صورة الهيولي المادة الخام للأشياء فإنها تحيل هذه الصور وفق رغبة النفس وحسب استعدادها لقبول هذه الصور [١٧، ص ٢٣٩].

والجمال (عند الفارابي ٢٦٠ هـ ٨٧٤١م - ٣٣٩ هـ ٩٥٠م) هو حصول الشيء على كماله الأخير، وقد تناوله في ضوء تأويله لنظرية الفيض ذات الأصول الإفلاطونية الجديدة، وفي محاولته لجعلها تتماشى مع الفكر الإسلامي، فالجمال عند الفارابي يشمل الوجود على سعته وهو السمة المشتركة بين كل هذه الموجودات، ومثلما إن الكمال في الجلال، أيضاً هناك الكمال في الجمال حيث يعرف الجمال في الموجود المعين أن يحصل له كماله الأخير وإتساقاً مع التصور الإسلامي، فقد جعل الألوهية مصدراً للجمال، كما ربط بين الأخلاق والجلال والكمال، كما أنه حرر الفن من نظرية المحاكاة الإغريقية التي تفترض وجوده مجرد شكلاً من أشكال التطابق مع الواقع، غير إنه ومن خلال إستعارته للتصور الإغريقي للوجود من خلال تبنيه لنظرية الفيض والعقول المفارقة ورغم محاولته تأويلها بما لا يناقض الإسلام، إنتهى الى التأكيد على ماهو روحي نافيا كل ما هو مادي [١٨، ص ١٧].

والجمال عند (الجاحظ ٧٧٥-٨٦٩م) هو التمام والإعتدال وهو أن يكون الجسم متصفاً بتمام الأجزاء وإكتمال التكوين وأن اجزاء الجسم يجب أن لا تتجاوز مقدارها من حيث حجمها فلا هي متصفة بالإفراط في الكبر أو متصفة بالإفراط في الصغر. والزيادة أو النقصان في أي من هذه الصفات يخرجها من دائرة الجمال ويسبب نقصاً في الجمال وهو ما يلزم التناسب والتوازن بين أعضاء جسم الإنسان حتى يتصف بالجمال فمقياس الجمال هو الجسم المتوسط المعتدل التكوين فما اقترب من الوسطية عد جميلاً وما ابتعد عنها عد قبيحاً. ويلتقي مفهوم الجاحظ للجمال مع مفهوم أرسطو للجمال وخصوصاً في فكرة الاعتدال أو التوسط [١٩، ص ٣٢-٣٣]. ويمكن لنا أن نحدد إن هناك فهماً رئيساً يسيّر الجمال وفقهما لدي فلاسفة ومفكري الإسلام حيث ينقسم الجمال في غالب التصورات بين الجمال المعنوي وهو الجمال الرباني المتمثل بجمال الخالق، والجمال الشكلي المتمثل في جمال المخلوقات.

٧. الخاتمة:

أن الجمال في الفكر الإسلامي قد أخذ مكانته اللائقة وفق الفهم الخاص بالتجربة الإسلامية، سواء من حيث هو قيمة دينية عقديّة وتشريعية، أو من حيث هو مفهوم كوني، وكذا من حيث هو تجربة وجدانية إنسانية، ومن هنا كان تفاعل الإنسان المسلم مع قيم الجمال ممتداً نحو الممارسة الحياتية، ليتسع المفهوم الإسلامي للجمال ليشمل كل جوانب الحياة المادية والروحية الحسية والحدسية، وبما تبع ذلك من منجز فني حضاري أنتجه الوجدان الإسلامي في استلهم راق وإبحار ملهم في العالمين معا وهما عالم الغيب وعالم الشهادة.

٨. المصادر:

- القرآن الكريم

- ١- فريد الأنصاري، مفهوم الجمالية بين الفكر الإسلامي والفلسفة الغربية، مجلة ثقافة وفن، العدد ١، ٢٠١٧. مارس.
- ٢- الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ج٥.
- ٣- علي القاضي، مفهوم الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢.
- ٤- اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٨، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ٢٠٠٢.
- ٥- اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- ٦- الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج١٧، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ.
- ٧- محمد عمار، مفهوم الجمال في الإسلام، جريدة الدستور، العدد ١٧٣٧٢، السنة ٤٩، الشركة الأردنية للصحافة والنشر، ٢٠١٥، الموقع الإلكتروني: addustur.com.
- ٨- توفيق عباس، ألفاظ الجمال في القرآن الكريم، الشبكة الدولية، الموقع الإلكتروني: <http://www.alsunnah.org>.
- ٩- محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول، ج٢، تحقيق وتعليق: شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (د.ت).
- ١٠- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ج١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- ١١- أبو داود سليمان ابن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب غسل الثوب وفي الخلفان، دار ابن حزم، ١٩٩٨.
- ١٢- الطبراني، سلمان بن أحمد الطبراني، سنن البيهقي الكبرى، ج٥، ح٤٨٩٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٣- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الطيب، كتاب الإستئذان، باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط، دار الريان للتراث، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٤- محمد احمد عبد الغفور، الجمال في ضوء السنة النبوية، رسالة ماجستير (غ،م)، الجامعة الإسلامية، غزة، عمادة الدراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم الحديث الشريف وعلومه.
- ١٥- يوسف كرم، العقل والوجود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤.
- ١٦- إينبطاطبا، عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، ١٩٨٠.
- ١٧- محمود الخوالدة، ومحمد عوض الترتوري، التربية الجمالية، مكتبة الشروق، رام الله، ٢٠٠٦.
- ١٨- ماهر إسماعيل الجعفري، فلسفة التربية عند الإمام الغزالي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٤٤، ج٢.
- ١٩- صبري محمد، خليل، مفهومي الفن والجمال بين الفلسفة الغربية والفكر الإسلامي، الشبكة الدولية، الموقع الإلكتروني: sudanesonline.com 2015.